الصراع بين القيم الإسلامية المتجذرة والقيم الوافدة في المجتمع المأزوم
المجتمع العراقي نموذجاً

The Conflict Between Rooted Islamic Values and Imported Values in a Crisis-Stricken Society
Iraqi Society as a Model

د.خوام مانع محمد الجميلي

Dr: khawwam manea mohammed AL jumaili

khawwamaljumaili60@gmail.com

ملخص البحث

القيم الاجتماعية في المجتمع العربي الإسلامي مُستقاةٌ من الشريعة الإسلامية ومتجذرة فيه، فعند ولادة قيمٍ جديدة لابد من فترة طويلة لتنموَ وتستقيم، ولكن التكنلوجيا الحديثة تطورت بسرعة كبيرةٍ وأفرزت قيمًا جديدةً ربما تقاطعت مع القيم الأصيلة ولم يتمكن المجتمع من مواكبتها؛ مما أدّى لخلقِ بونٍ شاسعٍ بين المتجذر والمستحدث! وهذا البون يسمى «بالفجوة الثقافية»، والذي بدورهِ أحدث خللاً في المنظومة القيمية. جاء بحثنا ليناقش هذه الظاهرة ويضع بعض المقترحات لمعالجتها.

الكلمات المفتاحية: القيم، القيم المتجذرة، القيم الوافدة، الأزمة، المجتمع المأزوم

Research Summary

Social values in Arab-Islamic society are derived from Islamic law and are deeply rooted within it. When new values are born, they require a long period of time to develop and solidify. However, modern technology has developed rapidly and unconventionally, producing new values that may intersect with authentic values, and society has been unable to keep up with them. This has created a wide gap between the rooted and the modern. This gap is called the cultural gap, which has created an imbalance in the value system. Our research discusses this phenomenon and offers some proposals for addressing it.

المقدمة

يعيش العالم اليوم في أجواءَ مضطربةٍ وغير مستقرة، من صراع بين القيم الإسلامية الموروثة والقيم المفروضة من عولمة العصر، بحيث لا تجد اثنين أو أكثر من الناس يتحاورون في مستجدات الحياة والقيم الاجتماعية إلّا ورأيتَ التشاؤم والتشكي والاستهجان يُخيّمُ على جو النقاش؛ جرّاء ما افرزته مستجدات الحياة العلمية من قيم تتقاطع أحيانا مع القيم الاجتماعية المتجذرة في المجتمع العربي والإسلامي بشكل عام والعراقي بشكل خاص.

التغيير سنّةٌ إلهية يُبنى عليها نظام الكون بكل مكوناته، والتقدم العلمي جزء من هذه السنة، فتتأثر المجتمعات البشرية بهذا التقدم سلباً وإيجاباً، وبسبب المعرفة العلمية والتكنولوجية المتراكمة على مرّ الأجيال تغير وجه العالم، وبدا التغيّر جليّاً في عصرنا الحديث هذا؛ حيث ظهرت اكتشافات واختراعات وتطورات علمية كثيرة جدّا يصعب حصرها وفي جميع المجالات، فلا وجه للمقارنة بين عالم الأمس وعالم اليوم في جميع مجالات الحياة المادية والمعنوية. وهذا أمر طبيعي كما ذكرنا؛ لأنّ التغيير والتنافس نحو التطور من جبلّةِ البشر؛ كون الإنسان بطبعه يميل دائما نحو التجديد والتطوير كما قال هيرقليطس: «(الشيء الوحيد الثابت في الحياة هو التغير المستمر)»(عادل عبد الله، ٢٠٢١، ص٨٦).

والتجديد لا يتعلق بجانب من جوانب الحياة دون آخر، بل هو منظومة متكاملة مترابطة ماديا ومعنويا، ونرى التطور العلمي في عالمنا المعاصر يقفز قفزات نوعية سريعة تختلف عما كانت عليه في الأزمنة السابقة، والتطور حتما سيرافقه تغير في القيم الاجتماعية، وهذه القيم تشكل صراعًا بينها وبين الموروث القيمي، مما أبرز للعالم جدليةً كبيرةً بين القيمِ المستحدثةِ_ جرّاءَ التقدُّم العلمي والتي يمكن أن نعُدُّها قيمًا طارئةً أو وافدةً_ والقِيَمِ المُتجذِّرَةِ والأصيلةِ في المجتمع العربي والإسلامي؛ لذا جاء بحثنا هذا ليوضح العلاقة بين هذين الصنفين من القيم في المجتمع العراقي.

تم تقسيم البحث الى أربعة مطالب، المطلب الأول، التعريف بالمفاهيم الواردة، أما المطلب الثاني فيحمل عنوان القيم المتجذرة انعكاسها على السلوك الاجتماعي، والمطلب الثالث كان بعنوان، القيم الوافدة واثارها المستقبلية، وأخيرا المطلب الرابع، جدلية العلاقة بين القيم المتجذرة والقيم الوافدة، فالخاتمة والتوصيات.

أولاً: مشكلة البحث: إنّ التحدياتِ التي تتعرّضُ لها المجتمعاتُ اليوم تختلف عن التحديات التي واجهتها الأجيال السابقة؛ بسبب سرعة التقدم العلمي الذي فرض قيمًا اجتماعيةً جديدةً قد تتقاطعُ مع القِيَمِ المتجذرة في سلوك المجتمعاتِ التي كانت تنمو وتتغير ببطءٍ شديدٍ، أمّا اليوم إزاء سرعة التقدم العلمي الذي لا تتمكن القيم الاجتماعية من مواكبته، والذي بدأ بفرز صراعٍ بين القيم الاجتماعية -خصوصًا عند فئة الشباب التي يصعب عليها إمكانية التوفيق بين المتجذر والوافد من تلك القيم-، وبذا ظهرت تحديات قيمية سنوضحها في ثنايا بحثنا الموسوم:

(الصراع بين القيم الإسلامية المتجذرة والقيم الوافدة في المجتمع المأزوم/ المجتمع العراقي أنموذجاً) كإسهامٍ متواضعٍ لتسليط الضوء على مخاطر القيم الوافدة على قيمنا العربية والإسلامية في خِضَمّ هذه التحولات المتسارعة، وتثير هذه المشكلة عدة تساؤلات مهمة منها:

١- ما هي التحديات التي تواجه قيمنا الاجتماعية والدينية في عصر العولمة؟

٢- ما أسبابها؟

٣- ما هي سبل مواجهتها في ظل هذا التغير السريع المتنامي؟

ثانياً: أهمية البحث: تكمن أهمية بحثنا في أنّ المستجدات العلمية تهدد قيم المجتمع العراقي والعربي والإسلامي، وأنّ القيم هي القاعدة الصلبة التي يُبنى عليها أمن واستقرار المجتمع، لا سيما أنّ قيمنا نابعةٌ من ديننا الحنيف والتي تعتبر قيمًا وعقيدةً في الوقت ذاته؛ لذا فهي مصدر قوته القيمية والأخلاقية، من هنا جاءت أهمية بحثنا لمواكبةِ مستجدات الحياة القيمية وتوعيةِ الشباب ليأخذوا دورهم ومسؤوليتهم ويُسهموا في التفاعل الإيجابي مع مستجدات الحياة العلمية والتصدّي لكل ما يهدد قيمهم الأصيلة ومعالجتها.

ثالثاً: أهداف البحث: يهدف البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:-

١- التعرف على القيم المتجذرة والقيم الوافدة.

٢- التعرف على المهددات التي تفرزها القيم الوافدة على القيم المتجذرة.

٣- الوصول إلى جملة من التوصيات والمقترحات التي تخفف من حدة آثار تلك المهددات على المجتمع العراقي.

المطلب الاول: التعريف بالمفاهيم

أولا: القيم: «تشير كلمة قيمة إلى كل ما هو جدير باهتمام الفرد وعنايته لاعتبارات اجتماعية أو اقتصادية أو سيكولوجية. والقيم: هي أحكام مكتسبة من الواقع الاجتماعي يتعلمها الفرد ويحكم بها، وتحدد مجالات تفكيره وتؤثر في سلوكه وتعلمه، فالصدق والأمانة والشجاعة والولاء وتحمل المسؤولية كلها قيم يكتسبها الفرد والجماعات الصغيرة من المجتمع الذي ينتمون إليه»(بدوي، ١٩٧٧، ص٤٣٩).

وهناك من يرى أن القيم: «مقاييس اجتماعية تتصل بمضامين واقعية يكتسبها الفرد خلال عملية التفاعل المستمرة مع البيئة التي تحيط به، ويشترط أن تنال قبولاً من جماعة اجتماعية معينة حتى تتجسد في سياقات الفرد السلوكية واللفظية أو اتجاهاته واهتماماته»(مرعي، ١٩٩٥، ص٤٣). ويمكن القول: «إنّ هناك قيماً ايجابيةً مرغوباً فيها وتشهد قبولاً من الجماعة والمجتمع، وهذه القيم تتمثل في الشجاعة والكرم والتضحية والتعاون والإيثار في سبيل الجماعة، وقيم أخرى سلبية مرغوب عنها من المجتمع وتتمثل في الأنانية والفردية والطبقية وهذه القيم يرفضها المجتمع ويدينها»(غيث، ١٩٨٤، ص٧٢).

وبشكل عام: هي كلمة نالت اهتمامَ علماءِ الاجتماع والدين والتربية والفلسفة والاقتصاد وعلماء النفس

وغيرهم؛ لذا اختلف العلماء في تفسيرها، وتعددت تعريفاتُها، فقد عرّفها شاكر مصطفى سليم في قاموس الأنثروبولوجيا بأنّها: «الأهداف الأيديولوجية التي توجه تفكير الأفراد والجماعات والمفاهيم في حضارة معينة، أي: إنّها تصوراتُ الأفراد والجماعات للأمور المثالية المرغوب فيها، والتي تتحكم بعملية الاختيار بين الأساليب والوسائل المتاحة للوصول إلى أهداف معينةٍ ضمنَ الإطار العام للحضارة التي ينتمي إليها أولئك الأفراد وتلك الجماعات»(سليم، ١٩٨١، ص٢٣٠).

أمّا التعريف الاسلامي للقيم: «فهي الفضائل الخُلُقيةُ الدينيةُ والاجتماعيةُ التي تقوم عليها حياةُ المجتمعِ الإنسانيّ، لقوله تعالى: (هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا) (الانعام:١٦١)، والنظام الإسلامي ينظر للقيم على أنّها مطلقةٌ لكل زمان ومكان، وإنّ القيمةَ نفسَها لا تتغير، إنّما يتغير تفسير الناس لها كما يختلفون في تطبيقها! فالخير والصدق والأمانة والحق وحفظ حرمة الجار والمال والعِرْض قيمٌ موجودةٌ أصلاً، بل دعا الإسلام للتمسك بها فعلاً وقولاً، فإذا حُوّرَتْ هذه القيم عن معناها، وأصبحت نسبيةً عند بعض المجتمعات فهذا لا يعني أنّ القيم تغيرت، كلاّ إنّما الذي تغير هو تفسير المجتمع لها»(نسبت، ١٩٩٠، ص٢٢١)، لذا يقال: إنّ فلانًا ذو قيمة واعتبار، وفلان ليس له قيمة، أو ليس لكلامه قيمة، بناء على سلوك الشخص وتصرفاته التي تحدد قيمته واعتباره.

ثانيا: القيم الوافدة؛ «وتأتي بمعنى وفدَ يَفِدُ وَفْداً، أي: قَدِم، ووَرَدَ رسولاً فهو وافِد، وتَوافَدَ القوم عليه: قَدِموا، ووردوا، والوافد يعني: القادم توّاً»(ابن منظور، ١٩٧٧، ص٥٥١).

«وهي عبارة عن ثقافة اجتماعية جديدة، واردة عبر وسائط عديدة منها وسائل الإعلام، وهي ثقافة تروج لقيم ومعايير اجتماعية وانماط حياتية قد لا تتلاءم مع الواقع الاجتماعي»(البياتي، ٢٠٠١، ص١١٢).

أمّا التعريف الإجرائي للقيم الوافدة: هي مجموعة القيم والأعراف والعادات التي يكتسبها الفرد والمجتمع من خلال وسائل الاتصال الحديثة، أو بسبب الهجرة التي جعلت المهجرين يختلطون بمجتمعات أخرى فرضت عليهم قيمًا جديدةً.

ثالثا: القيم المتجذرة؛ الجَذْرُ (بفتح الجيم): «أَصلُ كل شيء والجمع، جُذُور، والجَذْرُ من النبات: جُزْؤه الذي يتشعَّبُ بالأَرض ويحصل منها على السوائل اللازمة لغذائه والتي لا يمكن العيش بدونها، ويضرب جذوره في الأرض»(الرازي، ١٩٩٦، ص٢٠٣).

أمّا التعريف الإجرائي: فهو مطابق للتعريف اللغوي، بأنّ جذر الشيء هو: أصله. فجذور القيم تعني: أصلها ومنبعها وعمقها التاريخي.

رابعا: الأزمة؛ لغوياً: «يفيد الفعل زمّ، وزَمزمَ، معنى الضّيق، والانقباض بعد الانبساط، وتفيد الأزمة معنى: التأزُّم، والمأزوم، بمعنى التناقض والقصور، وتأتي أيضاً: «بمعنى الشدة والقحط، وتأزّمَ: أصابته أزمة» (خليل، ١٩٩٥م، ص٣٣).

الأزمة اصطلاحا: «يستخدم هذا المصطلح في علم السياسة، وعلم الاقتصاد، والتأريخ، والطب، والطب النفسي، وعلى المستوى الفردي والجماعي؛ لذا كثرت تعريفات الأزمة؛ مما أدّت إلى بروزِ تعريفاتٍ مختلفة لها»(صبري، ١٩٨٧م، ص٧).

وهي أقرب ما تكون للجانب السياسي، وتُعرّفُ: «بأنّها: موقفٌ مهم يُستخدم فيه العنف أو يُحتمل استخدامه، أو هي بمثابة نقطة تحول، أو حدٍّ فاصلٍ بين وضعين»(ياسين، ١٩٩٩م، ص١٠٢).

وإنّ الأزمة سواءٌ كانت قد طالت شخصاً أو مجتمعاً أو دولةً، فإنّ المجتمع هو ميدانها في كل الأحوال، «وتُقسم إلى:

أ- أزمات عالمية لها تأثيرات داخلية.

ب- أزمات محلية لها تأثير خارجي.

ج- أزمات محلية فقط.

ومن الناحية الاجتماعية يُقصد بالأزمة: «توقف الحوادث المنتظمة والمتوقعة، واضطراب العادات والعُرْف؛ مما يستلزم التغير السريع لإعادة التوازن، ولتكوين عادات جديدة أكثر ملائمةً»(زكي، ١٩٨٦م، ص٩١).

خامسا: المجتمع المأزوم؛ «ويشير المجتمع المأزوم إلى ظروف خاصة تواجه مسيرة النظام الاجتماعي، قد تؤدي إلى خلل في التكامل الوظيفي للبناء الاجتماعي وينتج عنه تهديد للاستقرار المجتمعي، وإنّ أي خلل يصيب جزءاً من المجتمع لا بد أن يؤثر في باقي الأجزاء؛ لأنَّ هذه الأنساق تؤدي وظائفها تكاملياً، فكل وظيفة تكمل الوظائف الأخرى»(صبيح أحمد، ٢٠٠٨م، ص٤٥٢).

«وبشكل عام نرى أنّ أقرب تعريف لهذا المصطلح هو: إنّ الازمةَ تتمثل بشبكة من الأحداث الطارئة التي تدخل على المجتمع أو المجموعة أو الفرد تربك التوازن والاستقرار وبحاجة إلى إجراءٍ سريع لمعالجتها، وقد تكون هذه الأحداث طبيعية أو مفتعلة» (الجميلي، ٢٠١٦م، ص٣٣).

المطلب الثاني: القيم المتجذرة وتصنيفاتها

تولد القيم الاجتماعية من رحم المجتمع بناءً على حاجته لها، وتواكب منظومة السلوك والذوق العام لذلك المجتمع، وأول ولادتها تكون غضّةً طريّةً ثم تنمو وتربو وتترعرع في إحضانه حتى تتصلبَ وتتجذّرَ في السلوك الجمعي الاجتماعي، ثم تدخل ضمن منظومة القيم الضابطة وتصبح ضابطًا اجتماعيًا على شكل قانون ملزم غير مكتوب، والتي بمجموعها تحدد هوية وثقافة المجتمع؛ كونها توجه الفردَ نحوَ السلوكِ المرغوبِ فيه، والامتناع عن السلوك غير المرغوب فيه داخل الجماعة، وتُعَدُّ وسيلةَ ضبطٍ اجتماعيةٍ ملزمةٍ غيرِ رسميةٍ مهمتُها الحفاظ على أمن واستقرار المجتمع. وهي عبارة عن معايير عامّة للسلوك الصحيح، كما أنّها بذات الوقت ضوابط اجتماعية مرغوب فيها في مجتمعها، تحددها ثقافة كل مجتمع للحفاظ على سلامته واستقراره.

ولكل مجتمع قيمه الضابطة كما لكل فرد قيمه الخاصة، وهي أشبه ما تكون بولادة الطفل الذي يكبر ويترعرع ويبلغ، ثم يكون عضوًا قيّمًا على سلوك المجتمع، وتتحكم بولادتها عدة عوامل مثل العامل الديني والعوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأمنية والحضارية ونظام العولمة الجديد والقيم القديمة والأعراف وغيرها، وأقواها العامل الديني؛ لأنّ الدين هو الدافع والمحرك الرئيسي للسلوك، وإنّ الأعراف والتقاليد الاجتماعية لا تقوى على البقاء ما لم تكن مؤيَّدةً من الدين؛ كونه يحتل مكانَ الصّدارةِ من تأملات الإنسان وتفكيره واهتماماته، وإنّ الدين أقوى وأشد العواطف الإنسانية تأثيراً في نفوس الأفراد والجماعات، وهذا ينطبق على جميع الرسالات السماوية منها والوضعية، وليس الدين الإسلامي فقط.

والقيم الاجتماعية هي مصدر للسلوك الفردي والجماعي، «وذلك ما أطلق عليه عالم الاجتماع دوركايم بـ: (المثُلات الاجتماعية) والتي يقصد بها التصورات الجمعية التي سُمّيت: (العقل الجمعي أو الضمير الجمعي)، والتي كان يرى أنّهُ ذلك الكل المشترك من القيم والمعتقدات والعادات التي يتعلّمها الفرد المولود في أي مجتمع، فيتقبلها ويتعايش معها وينقلها الى الأجيال اللاحقة. إذاً القيم الاجتماعية هي: ذلك المحتوى من القيم والعادات والتقاليد التي تصبح عقلاً جمعياً أو ضَميرا جمعيًا يُوجّه السلوك الفردي ويصمم السلوك الاجتماعي، الذي له مسار اجتماعي وهدف اجتماعي، ويأخذ بنظر الاعتبار توقع الآخرين»(حسين احمد، ١٩٨٦، ص٢٠١).

بيّنتْ المكتشفاتُ الانثروبولوجية، أنّ الشخصية ليست ذاتِ بُعدٍ فرديٍّ يتعلّق بنوع الأسرة التي تربى فيها الشخص، أو نوع التجارب الشخصية في الحياة، ولا يتعلق بنوعيةِ التكوين الشخصي أو العقد أو الأمراض النفسية أو القدرات أو الميول التي يمتلكها شخصٌ معيّن فحسب، وإنّما هناك بُعْدٌ حضاري ثقافي للشخصية يشكله البناء الاجتماعي والثقافة الاجتماعية؛ لذلك فلكلِّ مجتمع شخصيته الثقافية ومزاجه وعقليته، وميول هذه الشخصية متمثلة في الأفراد كافة، وهنا تكون الشخصية القومية (أي: سمات شخصية الشعب وسمات الثقافة المتمثلة في الأفراد، فهما وجهان لعملة واحدة)» (حسين أحمد، ١٩٨٦، ص٢٠٤)؛ لذا يقال الشخصيةُ الألمانية والشخصية الإنكليزية والشخصية العربية والشخصية البَدوية وهكذا، فلكل أمة شخصيتها وعقليتها ومزاجُها وميُولها، وما تُفَضّلُ وما لا تفضل.

والتجربة العراقية المعاصرة التي عايشناها في الماضي القريب، -عندما انهارت وسائل الضبط الرسمية برمتها، وحلّتْ القيمُ الاجتماعيةُ والدينيةُ محلّها، والتي كانت بمثابة قواعد اجتماعية ضابطة للسلوك الجمعي والفردي- هي خير مثال، عندما صمدت ونافحت كثيرا حتى انتصرت على المؤامرة الكبرى التي عصفت بالمجتمع؛ لأنّ القيم العربية والإسلامية كانت متصلبة ومستقرة في ضمير ووجدان الشعب بكل أطيافه وقومياته منذ زمن بعيد! فحافظت على هوية المجتمع العراقي وجعلت منه وحدةً متماسكةً صلبةً وقويةً.

ويمكن القول: إنّ هناك قيماً ايجابيةً مرغوباً فيها، وتشهد قبولاً من الجماعة والمجتمع، وهذه القيم تتمثل في الشجاعة والكرم والتضحية والتعاون والإيثار في سبيل الجماعة، وقيمًا أخرى سلبيةً مرغوبًا عنها من المجتمع، وتتمثل في الأنانية والفردية والطبقية وهذه القيم يرفضها المجتمع ويدينها.

«وبناءً عليه يتضح أنّ القيم تعد معايير أخلاقية يكتسبها الفرد من البيئة المحيطة به بجوانبها المادية المختلفة، ومنها التكنولوجية وجوانبها اللامادية أيضا المستقاة من الدين والأعراف والتقاليد، والتي تساعد الفرد على أن يسلك طريقا صحيحا في حياته، ويلقى قبولاً من أفراد المجتمع»(معاذ حسن، ٢٠٠٨، ص٢٠).

وبشكل عام توصف القيم بأنّها المقياسُ الذي تُقاسُ عليه سلوكيات الناس على المستوى الفردي والجماعي، وبنفس الوقت تعتبر ضابط ومعيار للسلوك الاجتماعي، فالقيم التي ينشأ عليها الفرد منذ ولادته هي التي تُقَيّمُ سلوكه خيرًا كان أم شر، صحيحًا كان أم خطأً.

إنّ مصدر القيم إمّا أن يكون دينيًا سماويًّا كما هو الحال في الرسالات السماوية، أو يكون من صنع المجتمع، وفي كلا الحالتين لا بدَّ أنْ تكون القيم متوافقة مع الفطرة الإنسانية السليمة. ويجبُ دائما أن تكون لها قوةٌ ملزمةٌ، والخروج عنها يُعدُّ خرْقًا لمنظومة القيم الاجتماعية، «وتعدّ إحدى المؤشرات المهمّة لنوعية الحياة ومستوى التحضر والرّقي الاجتماعي في أي مجتمع من المجتمعات، وما من جماعة تستطيع البقاء والعمل بصورة فعّالة ما لم تعتنق وتمارس مجموعةً من القيم التي يقبلها المجتمع»(محمد عمر، ٢٠١٠، ص٣٣٣).

تصنيفات القيم: «إنّ القيمَ متداخلةٌ ومن الصعب تصنيفها بدقة، ولكن تمَّ تصنيفها – لأغراض الدراسة – تصنيفاتٍ متعددةٍ بحسب عددٍ من الاعتباراتِ. فقد صنّفها عبد الرحمن بدوي إلى ثلاثة مجالات: أ- قيم عقلية، ب- قيم جمالية، ج- قيم أخلاقية.

- وصنفها البعض الآخر على أساس ما هو ماديٌّ محسوسٌ وغيرُ محسوسٍ، أي:

أ- قيم مادية. ب- قيم روحية.

- بينما صنّفها آخرون بحسب الأشخاص:

أ- قيم نظرية ب- قيم اقتصادية ج- قيم جمالية د- قيم اجتماعية هـ- قيم دينية و- قيم سياسية ز- قيم فنية-(طهطاوي، ١٩٩٦، ص٤٦).

--وصنفتها طائفة أخرى إلى :

أ- قيم متصلة بعلاقة الإنسان مع ربه.

ب-قيم متصلة بعلاقة الإنسان مع نفسه.

ج- قيم متصلة بعلاقة الإنسان مع الآخرين»(غيث، ١٩٨٤، ص٧٢).

المطلب الثالث: القيم الوافدة وآثارها المستقبلية

إن التغيرات الحاصلة في المجتمعات البشرية جراء التطور الذي تعرضت له منذ ما يقارب من نصف مليون سنة ابتداءً من عالم الالتقاط والزراعة الى التحضر ثم التقدم العلمي المعاصر قد وصفه عالم الاجتماع الإنكليزي انتوني غدنز بالآتي: «(إذا أردنا إن نحسب عمر الوجود البشري بمعدل الساعات في اليوم الواحد لقلنا إن الزراعة ولدت قبل منتصف الليل بأربعة ساعات والحضارات قبل منتصف الليل بثلاث ساعات وتطورت المجتمعات الحديثة قبل منتصف الليل بثلاثين ثانية، غير إن التغيرات التي حدثت للمجتمع الإنساني عموماً خلال الثواني الثلاثين تلك تعادل حجماً وكثافة ونوعاً ما حدث في التاريخ البشري برمته»(غدنر، ٢٠٠٥، ص١٠٥)، فعلى سبيل المثال لا الحصر (قبل حوالي أربعون عاما كانت القيم الاجتماعية في المجتمع الريفي تختلف كثيرا عما هي عليه اليوم من قوة الاواصر والتكافل الاجتماعي والاقتصادي على جميع الاصعدة، وذلك بسبب نظام الحياة الذي كان يختلف عن واقعنا المعاصر، كان نظام الزراعة مثلا يعتمد على الأيدي العاملة قبل ظهور المكننة الزراعية، حيث يتظافر ابناء المجتمع او القرية في البناء والزراعة والحصاد وجني الثمار وجميع اعمال الحياة المادية والمعنوية لإنجازها، بحيث يحتاج الناس لبعضهم البعض، لذا تجد التكافل الاقتصادي والاجتماعي بارز في حياة الناس، وهذا ينعكس تماما على العلاقات والقيم الاجتماعية، فتجد الاواصر قوية منعكسة على كل نظام الحياة، بعكس واقع اليوم الذي تجد فيه استغناء الناس عن بعضهم الا القليل بسبب مستحدثات الحياة المادية من مكننة وتكنلوجيا وغيرها، واصبح الاعتماد على النفس والآلة بديل للتكافل الاجتماعي، وانعكس ذلك بشكل مباشر على العلاقات الاجتماعية، واصبح الاستغناء بالآلة عن الاشخاص، والاكتفاء الذاتي عن الآخرين لدرجة استغناء بعض الناس عن الانجاب واستبدالهم بالخدم، وهذا التغيير يفرض ان يكون عبر مئات السنين لكنه حصل ضمن حياة جيل واحد بسبب التقدم العلمي كما ذكرت).

ان ما حصل للمجتمعات عامة والمجتمع العراقي خاصة في السنين الأخيرة من استحداث لقيم وافدة اثرت في منظومة القيم الاسلامية والاجتماعية كثيرا، سواء بسبب تكنلوجيا المعلومات المتمثلة ببرامج التواصل الاجتماعي التي رسمت قيم اجتماعية جديدة لكل مجتمعات العالم وما حصل للمجتمع العراقي خصوصا من تهجير بسبب الازمات التي تواترت عليه والتي اثرت تأثيرا واضحا على افكار وسلوكيات افراد المجتمع، فالتهجير جعل المجتمع وجها لوجه مع قيم اجتماعية مختلفة عما كان يفهم ويتعايش، فالاختلاط مع المجتمعات التي هجر اليها داخل وخارج العراق، فرضت عليه التعايش مع تلك المجتمعات وتطبيق قيم جديدة لم يكن يألفها في سابق عهده، ومعلوم ان لكل مجتمع خصوصيته، والمجتمع العراقي مجتمع قبلي بشكل عام، قيمه متجذرة ثابتة عبر الاجيال من حيث التفكير والسلوك والملبس وحتى المأكل كما ونوعا، ولا يخفى ان المجتمع العالمي بشكل عام اصبح مع بعضه وجها لوجه كما لو كان العالم قرية واحدة من خلال تعريف العولمة، فاصبح التلاقح بين الحضرات امر حتمي ولابد من التأثر بحضارات العالم المنفتح الذي لا يشبه عالمنا ولا

قيمه تشبه قيمنا الاسلامية والعربية، وخاصة حينما بدأ العالم ينشر متقصدا لغة الجسد الانثوي والجمال المغري لكسب الشباب نحو الانحلال لأن شريحة الشباب هي الاكثر تأثرا بمستجدات العصر والقيم الوافدة، «إلى جانب هذا نرى أن من المؤشرات الخطيرة التي رافقت العولمة بشكل أو بأخر هو تدجين وحشر المجتمعات النامية ومنها المجتمع العربي بقوالب قيمية جديدة مفروضة من قبل الغرب وتجريده من خصوصيته وفرض النموذج الثقافي الغربي على هذا المجتمع»(اسعيد،٢٠٠٢، ٤٦٥). وبذا اصبح الشاب العراقي بين قيم العولمة المتسارعة الطبيعية منها والممنهجة وقيم التهجير القسري التي فرضتها ظروف الازمات من احتلال وحرب داخلية وغير ذلك وبين قيمه العربية والاسلامية المتجذرة في صراع.

المطلب الرابع: جدلية العلاقة بين القيم المتجذرة والوافدة

ان ما يتعرض له العالم اليوم من تقدم علمي على جميع الاصعدة لهو امر واضح للعيان، وان الخلل الحاصل في منظومة القيم الاجتماعية على مستوى العالم عموما والامة العربية خصوصا (رغم ان الامة الاسلامية والعربية تنفرد عن العالم بموضوع القيم، حيثها تمتلك موروث قيمي عالي المستوى يتكون من ثلاث مصادر (دينية، قبلية، وقانونية) وهي بذات الوقت مصادر ضبط اجتماعي، وعلى قول ابن خلدون: (حرام، عيب، وممنوع) الا ان هناك ارباك واضح في المنظومة القيمية برمتها بما فيها المنظومة الدينية.

ذكرنا في المحور السابق ان ولادة القيم كولادة الطفل غالبا ما تكون طبيعية واحيانا قسرية بناءً على مستجدات الحياة الاستثنائية كالحروب والازمات، والواقع العراقي خير مثال على ذلك، والقيم المستحدثة تقسم الى قيم ايجابية وقيم سلبية والقيم السلبية تعتبر مهددات لقيم المجتمع الاصيلة والتي هي محور بحثنا، وهي بدورها تقسم الى نوعين: مهددات طبيعية ومهددات ممنهجة.

اولا: المهددات الطبيعية: القيم الاجتماعية ليست بالشيء الثابت بل هي من المتغيرات، كونها تتأثر بالزمان والمكان وثقافات الشعوب لكن ببطء كما ذكرت، ومما تجدر الاشارة اليه ان هناك علاقة وثيقة بين التغير في الثقافة الاجتماعية والمستجدات العلمية والتكنولوجية، وقطعا سيكون هناك تفاوت في النمو بين الثقافة المادية والثقافة المعنوية، واقصد بالثقافة المادية (العلوم) والمعنوية (القيم)، لأن العلوم تنمو بسرعة لا تتمكن القيم من مواكبتها، «كون القيم تمر بثلاث مراحل: تبدأ بتعديل الفكر ثم تعديل السلوك ثم تعديل الشخصية، وبذا سيكون هناك بون شاسع بسبب ذلك التفاوت، ويسمى ذلك التفاوت بال (الهوة أو الفجوة الثقافية)» (الجواهري، ص٤٥). وان هذه الفجوة تؤدي الى صراع القيم، «وبسبب هذا اللاتوافق سيحدث هناك اغتراب قيمي لدى ابناء المجتمع وخاصة الشباب بسبب عدم امكانية التكيف مع مستجدات العلم الذي سيضع معايير اجتماعية جديدة لا تتوافق مع المعايير السائدة، وهذا يدل على سرعة التغير الذي حصل ويحصل اليوم على جميع الاصعدة العلمية، فمن الطبيعي ان تستحدث قيم اجتماعية جديدة بناء على هذا الانفجار العلمي الهائل السريع المتنامي»(غاي، ١٩٩٧، ص٣٧).

يرى اوجبرن «ان البناء والتغير التكنولوجي والاختراعات في البيئة المادية لابد أن يصاحبه تغير في القيم والعادات الاجتماعية حتى يحدث التكيف بين الفرد والتطورات السريعة في عالم المادة، فالتخلف الثقافي دائما يصيب القيم والأنظمة الإيديولوجية والتي تتغير بسرعة اقل من الثقافة المادية مما يؤدي إلى عدم توازن يؤدي إلى صراع القيم، وبناء عليه تبرز المشاكل الاجتماعية»(بيومي، ١٩٨١، ص٩٠).

وان ما يحدث في عالم اليوم من تغيرات متسارعة وخاصة في عصر العولمة جعل التغير القيمي والثقافي يتسارع وخاصة عند فئة الشباب التي تتعرض لهذا الكم الهائل من التغيرات التي جاءت بها العولمة على اعتبار أنهم أسرع من غيرهم لقبول التغيرات المادية السريعة، وان مثل تلك التغيرات خلقت مشكلات، لان المجتمع المحيط بهم لم يتقبل بعد تلك التغيرات، وضمن هذه الفكرة الأخيرة نتفق مع اوجبرن «على ان التغيرات المادية أسرع من المعنوية ولكن فئة الشباب استقبلت التغيرات بسرعة خارج إطار المجتمع الذي ينتمون إليه مما خلق لديهم مشكلات تتصف بعدم التكيف، وكل ذلك أدى إلى جعل الفرد أكثر اغترابا عن قيمه الأصيلة ويزداد إحساسه بالاغتراب كلما ازدادت وطأة تلك التغيرات والتحولات، وهذا يدفعه إلى التغاضي عن معاييره السائدة وهو ما يسميه اريكسون بـ(المورتوريم) أي محاولة التوفيق بين الذات والمجتمع»(معاذ حسن، ٢٠٠٨، ص٦). وان سبب الارباك الذي اصاب المنظومة القيمية العراقية يعود لعدة عوامل تتلخص بالاتي:

١- ضعف الوازع الديني والثقافي.

٢- البطالة والعوز المادي.

٣- الانبهار بالتقدم العلمي الغربي السريع مقابل التراجع العربي.

٤- التناقضات العالمية الكبيرة وسيطرة المادة، وصغر حجم العالم بسبب العولمة.

نتج عن هذه العوامل وغيرها تغير مفاهيم كثيرة لدى الشباب فرضت سلوكيات ونظم واخلاقيات لم تألفها الشعوب العربية والاسلامية من قبل، وأهمها واخطرها، هو انعكاسها على النظام الاسري الذي تأثر تاثيراً مباشراً والذي يتلخص بالاتي:

أ- «انتظام الاسرة وفق توقيت برامج البث التلفزيوني (عند الأطفال والبالغين).

ب- ازدادت مساحة التواصل والتراسل عبر مواقع التواصل الاجتماعي بشكل كبير، مما سبب مزيد من العزلة الاجتماعية انسحبت على ضعف العلاقات الأسرية والاجتماعية.

ج- المشكلات بين الزوجين أو بينهم وبين الأبناء وعدم البر بالوالدين وكبار السن في العائلة بسبب سعة الفجوة بين أفراد الأسرة لانجذابهم إلى وسائل الإعلام والاتصال، والابتعاد عن الواجبات الاجتماعية والاخلاقية السائدة.

د- اتساع دائرة العنف الأسري المادي والمعنوي بين الابوين والأطفال بعد أن كانت علاقات حميمة

دافئة نتيجة تقلص أوقات التفاعلات الأسرية بسبب انشغال أفراد الأسرة وانجذابهم إلى وسائل الإعلام والاتصال، كما ساد التوتر بين أفرادها بسبب صراع القيم بين الأجيال، أو المشكلات بين الزوجين أو بين الأبناء بعضهم البعض أو عدم البر بالولدين وكبار السن في العائلة، أو الصراع على المصالح الفردية، وكذلك المشكلات النفسية والاجتماعية التي تصيب الأبناء في مرحلة الشباب بسبب مشاعر الإحباط الناتج عن عدم توفر فرص العمل وتأخر سن الزواج إضافة إلى مشاكل عديدة وابرزها الإدمان على المخدرات»(إبراهيم، ٢٠٠٣، ص٦).

٥- «وهناك مؤشرات أكثر خطورة إلا وهي انتشار القيم الدخيلة وطغيانها على القيم الأصيلة وهذا ما نشاهده من خلال الإعلام المعولم لتصوير الجمال الجسدي وربط الازياء بالحضارة المتقدمة بحيث اصبح الانحراف وكأنه من ملامح الشخصية المرغوبة اجتماعيا، وهذا الأمر تزداد خطورته عندما نجد الشباب اليوم من فتيان وفتيات يتأثرون بهذا الإعلام وربما البعض اخذ يطبق ما يراه من ملبس وسلوكيات» (محمد عمر،٢٠١٠م، ص٩٧).

ثانيا: المهددات الممنهجة: وهي عوامل خارجية مدروسة تستهدف الأمة الاسلامية بشكل عام والعراق بشكل خاص وتتلخص بالآتي:

١- الاحتلالات والحروب والتغيرات السياسية التي جرت في عدة دول عربية، والمدعومة من الخارج انعكست سلبا على الواقع الاجتماعي متمثلة بالفقر والتهجير والنزوح والاعتقالات .... والخ.

٢- الاعلام الخارجي الممنهج الذي يستهدف القيم العربية والاسلامية لأسباب سياسية واقتصادية.

٣- التهجير الذي فرض على المهجرين التعايش مع مجتمعات اخرى داخل وخارج البلد فرض على المجتمع العراقي قيم جديدة تختلف مع ما نشأوا عليه.

«ومما يزيد من خطر العولمة ما جاء في المؤتمرات العالمية للمرأة من اجل إرساء المساواة بين الرجل والمرأة وخاصة ما نلاحظه في لائحة مؤتمر بكين لعام ١٩٩٥م واتفاقية سيداو عام ١٩٨٠م، وموضوع الجندرة والمثلية وغيرها من السلوكيات التي يروج لها عالميا والتي تأنف الحيوانات من ارتكابها فضلا عن الانسان، حيث جاءت هذه المؤتمرات والاتفاقيات لإعلان الإباحية الجنسية المقيتة، والتنفير من الزواج المبكر والعمل على نشر وسائل منع الحمل وتحديد النسل، والسماح بالإجهاض المأمون، وسلب ولاية الآباء على الأبناء وسلب قوامة الرجال على النساء»(حماد، ٢٠٠٠، ص٨٦)، وتسخير الترسانة الإعلامية لتحقيق هذه الأهداف. كل هذه النقاط شكلت تحد صارخ لنظام الحياة بالكامل وافقدت المجتمع الاسلامي توازنه وانعكست سلبا على منظومة القيم الاسلامية والعربية.

وكل نقطة من هذه النقاط تحتاج الى بحث معمق لتوضيح دورها في هدم القيم العربية، لكن ورقات البحث هذه لا تكفي للخوض في كل التفاصيل المطلوبة.

الخاتمة

القيم هي الثوابت التي تعتبر البوصلة الاجتماعية لتنظيم العلاقات بين افراد المجتمع وهي المحرك الاقوى نحو الفضيلة بكل معانيها الاخلاقية والعلمية.

ان ما يحصل اليوم من تطور في تكنلوجيا الاتصال والثورة المعلوماتية التي هي إحدى أهم ادوات ومؤشرات العولمة واهم آلياتها:

- حولت العالم من سيادة القيم الى طغيان المادة، وإضعاف القيم الإسلامية والأخلاقية، وسيادة منطق الربح والبقاء للأقوى من خلال تجارة السوق المعلوماتية والاستلاب الثقافي للشعوب والدول.

- بروز الدور الواضح والمؤثر لوسائل الإعلام وانعكاسه على البناء الاجتماعي وهذا ما نراه جليا عند بعض الشباب وفئات أخرى من المجتمع العراقي من مظهر وملبس وسلوكيات.

- انعكاس تكنلوجيا المعلومات على نظام الاسرة مما انعكس سلبا على دفع افراد الاسرة إلى مزيد من العزلة الاجتماعية بدلا من تقوية روابط المجتمع المحلي، وهذا ترك فجوة شاسعة في طبيعة العلاقات الاجتماعية بشكل عام والعلاقات الأسرية بشكل خاص مما ساهم في إضعاف السلطة الأبوية وانهيار قيمة المركزية الابوية الذي انعكس سلبا على البناء القيمي والأخلاقي للاسرة، وهذا سيؤدي إلى تخلخل الميزان القيمي الذي يعد ركيزة اساسية لتماسك المجتمع.

- ساهمت العولمة في دعم وتنشيط قيم الرذيلة وطغيانها على القيم الأصيلة وهذا ما نشاهده من خلال الإعلام المعولم لتصوير الجمال الجسدي بالقوام الجميل وكأنه من ملامح الشخصية المرغوبة اجتماعيا فضلا عن التوجه نحو الاقتداء بالنموذج الغربي من مظهر وملبس وسلوك ومتابعة لأفلام هوليود والفديو كليبات التي لا تنسجم مع قيمنا الاجتماعية إضافة الى إقامة العلاقات الغير مشروعة مع الجنس الأخر لأغراض دنيئة لا تنسجم مع واقعنا العربي الاسلامي.

التوصيات

يوصي الباحث ببعض التوصيات منها:

في خضم هجوم القيم الوافدة وآثارها السيئة، والتي تستهدف الشباب اكثر من غيرهم، نوصي:

١- رعاية هذه الشريحة رعاية خاصة بوضع خطة هادفة في مراحل الدراسة الابتدائية والمتوسطة والإعدادية والجامعية تعزز ثقافة الانتماء الى الأمة ودينها والاعتزاز بقيمها الأصيلة من خلال مناهج التعليم.

٢- توجيه خطباء المساجد ان يركزوا في خطبهم على ترسيخ القيم الاسلامية والتحذير من تداعيات القيم الوافدة واثارها الاجتماعية المستقبلية.

٣- وضع برامج علمية للمؤسسات الشبابية لزرع الثقة في انفسهم على انهم بناة الوطن وتعزيز افكارهم

كشريحة اجتماعية ضد التحديات الثقافية والاجتماعية.

٤- محاربة البطالة كونها منبع كل رذيلة لان الفراغ يخلق الانحراف.

٥- اقامة الندوات والمؤتمرات العلمية لتوضيح مخاطر القيم الوافدة ومحاولة الفصل بين العلوم الحديثة والقيم المرافقة لها.

٦- التركيز على بناء الاسرة العراقية بناءاً اسلامياً والتلاقح السليم بين القيم الاسلامية والتكنلوجيا الحديثة من انترنت وقنوات التواصل الاجتماعي باستثمارها دون المساس بالثوابت القيمية الاسلامية للمجتمع العربي والاسلامي.

وما التوفيق الا من عند الله

المصادر

بعد القرآن الكريم

١- ابن منظور: لسان العرب المحيط ، دار لسان العرب ، بيروت ، ١٩٧٧.

٢- احمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت،١٩٧٧.

٣- احمد زكي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية. مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦م.

٤- احمد محمد حسن مرعي: القيم الخلقية الإسلامية بالمرحلة الثانوية العامة، دراسة ميدانية، رسالة ماجستير، جامعة الزقازيق بكلية بنها،١٩٩٥.

٥- أنتوني غدنز: علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٥م.

٦- حسين عبد الحميد أحمد: تطور النظم الاجتماعية وأثرها في الفرد والمجتمع، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٨٦م.

٧- خليل احمد خليل: معجم المصطلحات الاجتماعية. عربي - فرنسي - انكليزي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

٨- خوام مانع محمد الجميلي: ٢٠١٦م، دور المؤسسة الدينية في المجتمع العراقي المأزوم، اطروحة دكتوراه في العلوم الاجتماعية، مقدمة الى الجامعة اللبنانية، بيروت- لبنان، ٢٠١٦م.

٩- دارام غاي: حالات فوضى، الآثار الاجتماعية للعولمة، ترجمة عمران ابو حجلة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،١٩٩٧م.

١٠- روبرت نسبت: علم الاجتماع ، ترجمة جرسي خوري ، دار النضال ، بيروت، ١٩٩٠م. (ينظر).

١١- سهيلة زين العابدين حماد: المرأة المسلمة ومواجهة تحديات العولمة،مجلة المنهل العدد(٥٦٢) ٢٠٠٠م.

١٢- سيد أحمد طهطاوي: القيم التربوية في القصص القرآني، مصر : دار الفكر العربي ط ١، ١٩٩٦م.

١٣- شاكر مصطفى سليم: قاموس الانثروبولوجيا، ط**١**، جامعة الكويت، **١٩٨١**م.

١٤- صبيح عبدالمنعم احمد: أزمة النظام الاجتماعي في المجتمع العراقي. دراسة ميدانية لطلبة جامعة بغداد، بحث منشور في مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد(**٨٤**)، **٢٠٠٨**م.

١٥- عادل عبد الله: هكذا تكلم هيراقليطس، مطبعة نور، **٢٠٢١**م.

١٦- عبلة إبراهيم: ورقة بعنوان(الأدوار والوظائف في العائلة العربية، تغير القيم والتقاليد والعادات، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب أسيا)، بيروت في **٧**-**٩** تشرين الأول، **٢٠٠٣**م.

١٧- عدنان ياسين: السلوك المنحرف في ظروف ألازمات. بحث منشور في ندوة (السلوك المنحرف وآليات الرد المجتمعي) سلسلة الهائدة الحرة العدد **٣١**، بغداد، بيت الحكمة.

١٨- محمد احمد عمر: القياس النفسي والتربوي ، دار المسيرة، عمان ،**٢٠١٠**م.

١٩- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، ط**٢**، دار عمار، الأردن، **١٩٩٦**م.

٢٠- محمد بيومي: علم اجتماع القيم، دار المعرفة الجامعية،**١٩٨١**م.

٢١- محمد توهيل عبد اسعيد: هذه هي العولمة :المنطلقات..المعطيات..الأفاق، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع الكويت،**٢٠٠٢**م. (بتصرف).

٢٢- محمد صبري: شرح معاني المصطلحات الاجتماعية والعلوم الإنسانية. دار البشائر العلمية، لبنان، **١٩٨٧**م.

٢٣- محمد عاطف غيث: علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، **١٩٨٤**م.

٢٤- محمود الجواهري وآخرون: دراسات في التغير الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، **٢٠٠٣**م.

٢٥- معاذ احمد حسن: التغير القيمي للشباب الجامعي في ظل العولمة ـ دراسة ميدانية، بحث مقدم الى كلية الآداب ـ جامعة الانبار، **٢٠٠٨**م.

٢٦- ياس خضير البياتي: الفضائيات: الثقافة الوافدة وسلطة الصورة، المستقبل العربي، العدد**٢٦٧**، بيروت، **٢٠٠١**م.